لم نكتب نقدا ادبيا لآثار كمال ناصر . فالصرخة الحادة لا تبحث لنفسها عن اطر تصب فيها . تخرج هكذا ، عندما تكون الحنجرة مهددة بالانفجار او الاختناق . فيخرج الصراخ عاليا ليؤلف التزاما ثوريا وتوترا قادرا على التمرد .

يرتفع صوت الشهيد فينا ، فنحمل الرسالة ، تصنع الاجساد التي سقطت على الارض ، شكل الرؤيا المستقبلية . فالشعر هنا ، يصبح رسالة مباشرة ، وتتحول الكتابة الى التزام من موقع المسؤولية الجماهيرية المباشرة . فكمال ناصر رسم بكلماته اطار الالتزام ، ثم جاء دمه وجسده ، ليعطي لهذا الاطار حجم الموت .

« يصيح ملء دربنا
يصيح ملء شعبنا
يصيح ملء حشدنا
رسالة الشهيد ... ان ينتصر الشهيد » .

عندما سقط القادة الثلاثة في شوارع بيروت ، كانوا يحملون في دمهم بذرة التجدد . كتبوا بحناجر عشرات آلاف الذين خرجوا لوداعهم قصة الاستمرار والصمود . فهم جزء من قافلة طويلة من الاجساد التي تلتف على الارض وتعيد اليها حرارة العشب وارتعاشة اللقاء . فالقافلة التي تصدرها القادة الثلاثة ورفاقهم تستمر في العطاء وتنتشر لتشمل الارض العربية بأسرها . هنا تتجدد الثقافة فيما يتجدد كل شيء. فرغم كل المحن ، والمصاعب ، يرتفع الصوت العربي ليرسم من داخل الاطار الدموي لوحة الاستمرار والتخطي .

صيادون في شارع ضيق

قبل ان يجتمع ابطال جبرا ابرهيم جبرا في « السفينة » ويشهدوا بشكل تراجيدي لنهاية حلم التطور التحديثي الذي حملته شرائح من المثقفين والبرجوازيين . كان صوته يبحث في شارع ضيق من شوارع بغداد عن تفسخ الطبقة الاقطاعية وضرورة خروجها من المسرح بشكل عاجل . لذلك اختار المؤلف لروايته اطارا محددا بغداد بعد هزيمة ١٩٤٨ . ورسم الدائرة التي تتحرك داخلها أحداث روايته ... شبكة معقدة من الشخصيات تنتمي في غالبيتها الى نفس الطبقة الاجتماعية — الاقطاع — أو زعماء العشائر . وجعل صيغة المفرد التي تجري على لسان البطل ، تغلف الرواية بأسرها ، وتروي الاحداث من منظورها الشخصي. وترك الطبقة الاقطاعية تتفتت من داخلها ، جاعلا من بطله جميل الفران — الفلسطيني المثقف الذي درس في انجلترة وعاد الى وطنه ليجده حطاما وعائلته تحولت الى جزء من جيش اللاجئين — شاهدا من الداخل والخارج على هذه العملية المعقدة . فهو في الخارج ، لانه لا ينتمي الى الآلية الخاصة التي تفتت هذه الطبقة وتجعلها تنهار . وهو في الداخل ، لانه يلعب دور المسرح الثقافي لهذه العملية . ويتحكم كذلك بالتقاط المشاهد التي تعرض أمامنا ، في لوحة بالغة الغنى والدلالات ، من لوحات ادبنا العربي الحديث .

١ — صيغة المفرد والاسقاط الثقافي :

الصيغة الوحيدة التي يستعملها الكاتب في سياق روايته هي صيغة المتكلم المفرد . فتجري الرواية بأسرها على لسان البطل ، رغم ما يتخللها من الحوارات التي تحل هنا محل شريط الذكريات او التأملات الذاتية . رغم ان هذا الشريط لا يغيب بشكل كامل عن سياق الرواية ، فيأتي بشكل سريع ، ليشير الى لحظة لا بد من استرجاعها ، حتى تكتمل دلالات الموقف الدرامي الذي يقودنا اليه الكاتب . ولا يشذ عن هذه القاعدة العامة سوى في لحظتين . **الاولى** حين يستلم جميل الفران رسالة من حبيبته سلافه ، حيث نقرأ الرسالة عبر المؤلف . **والثانية** حين نتوقف لقراءة مذكرات عدنان

---

* جبرا ابراهيم جبرا ، **صيادون في شارع ضيق**، ترجمة محمد عصفور ، دار الآداب ، بيروت ، الطبعة الاولى كانون الثاني ١٩٧٤ .